وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحجن بعد هذا
العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم **فان قلت**
كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد
الحرام **قلت** يجوز ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا
ومن اظلم ممن اذى الصالحين **فان قلت** اي القولين ارجح **قلت**
رجح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان
مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الاية التي قبل هذه وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر
لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد به بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني
بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم
وذكر ابن العربي في احكام القران قولا ثالثا انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد
بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال قوله عز وجل **ولله المشرق**
والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت
الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا
ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته **ق** عن ابن
عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومي
وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل
من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية وقيل نزلت
في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة
فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية وقيل انها نزلت
في تخيير النبي واصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق
اكتفا عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم
به ونهاهم عنه فامرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان
الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهنالك قبلة الله التي وجهكم
اليها وقيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث
الصورة وقيل فثم رضا الله اي يريدون بالتوجه اليه رضاه **ان الله واسع** من السعة وهو الغنا
اي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة **عليم**
اي باعمالكم ونياتكم حيث ما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء مسئلة تتعلق بحكم الاية

وهي

وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها
بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة
فان جهة الاجتهاد قبلته وكذلك الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله ونحو
صلاته وكذا المشدود الى جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله عز وجل **وقالوا اتخذ الله ولدا**
نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي
العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله **سبحانه** اي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن
قولهم وافترائهم عليه **خ** عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن
ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان
واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا **بل له ما في السموات والارض** يعني
عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد
والله تعالى منزه عن الشبه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد
وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال **كل له قانتون** يعني ان اهل السموات
والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل
اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى
الاية كل له قانتون بالشهادة ويعترفون له بالوحدانية وقيل قانتون اي مذللون مسخرون
لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين
احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب
الى تعميم حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى
واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل **بديع**
السموات والارض اي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشياء اي
يحدثها مما لم يكن **واذا قضى امرا** اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه **فانما يقول له**
كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده **فان قلت** المعدوم
لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون **قلت** ان الله تعالى عالم بكل ما هو
كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كائنة بعلمه بها فجاز ان يقول
لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام اجل فيكون
المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه واراده كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب
قوله عز وجل **وقال الذين لا يعلمون** قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب **لولا يكلمنا الله** اي عيانا بانك رسوله **او**
تاتينا آية اي دلالة وعلامة على صدقك **كذلك قال الذين من قبلهم** اي كفار الامم الخالية
مثل قولهم وذلك ان اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوا من الايات
ما ليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل
من كان قبلهم **تشابهت قلوبهم** يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل
تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال **قد بينا الايات** اي الدلالات على نبوة محمد

Copyright © King Saud University